عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة

عبدالله بن سعيد بن عبدالوهاب أبو ملحة
رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية والصناعية بأبها

مقدمة:

حفل عهد الملك المؤسس عبدالعزيز - طيّب الله ثراه - برجال مخلصين، أسهموا معه في توحيد أجزاء وطننا الحبيب (المملكة العربية السعودية) وكان لهم أثرهم البارز في تثبيت دعائم الأمن والاستقرار والرخاء الذي ننعم به حتى وقتنا الحاضر[1] ولم يكن أولئك الرجال المخلصون سوى نماذج رائعة استشعرت حبها وولاءها لهذه الدوحة السعودية الكريمة التي حملت على عاتقها نصرة الإسلام والمسلمين منذ عهد مؤسس الدولة السعودية الأولى الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - ومرورًا بعهود أبنائه وأحفاده من آل سعود الميامين، وإلى عهد الملك المؤسس عبد العزيز - طيّب الله ثراه - فجاء أولئك الرجال المخلصون في هذا العصر ليبذلوا جلّ ما في وسعهم: جهادًا وتضحيةً وعملاً دءوبًا مخلصًا تحت لواء الملك الموحد عبدالعزيز - طيّب الله ثراه - في كل أمر وجّههم بتنفيذه من تعليمات رشيدة، وتوجيهات كريمة في سبيل بناء ورفعة بلادنا الحبيبة، ثم انطلق كل واحد منهم إلى ما أوكل إليه من عمل بغير توان ولا تردُد؛ بل بكلّ أمانة واقتدار وإخلاص، في وقت عانوا فيه من بؤس الحياة، وشظف العيش، وضراوة الجوع، وتكالب

الأعداء، ولكن الله تعالى أعانهم ووفقهم، حتى أشرقت على جبين مملكتنا العزيزة شمس الوحدة بعد الفرقة، ونعيم الاستقرار بعد الخوف والجوع، وروح أخوّة الإيمان بعد التباغض والعدوان، وتلك - لعمري - معجزة حققها الله لعبد العزيز ورجاله الأوفياء، وبخاصة إذا عرفنا أن هذه المملكة التي وحّدها الملك عبد العزيز - طيّب الله ثراه - كانت مناطق مترامية الأطراف، واسعة الأرجاء، متعددة القبائل، عاشت ردحًا من الزمن قبل ملحمة التوحيد في إحن وغارات، وعداوات وثارات، لا يربط بينها رابط من أخوّة ولا دين ولا خُلُق، لولا أن الله - سبحانه - قد علم في سابق علمه من الملك عبدَ العزيز ورجاله الأمناء إخلاص النيّة له وحده، والرغبة الجادّة في توحيد الصفوف، وإخضاع تلك القبائل المتنافرة إلى شريعة الإسلام الغرّاء، تحت راية التوحيد الخالدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فأعانهم ووفقهم لتحقيق تلك الغاية السامية، وما هي إلا أربعة وخمسون عامًا من عمر الزمن حتى توحدت أطراف جزيرة العرب في دولة واحدة راشدة تحكم بالكتاب والسنّة منهجًا وتطبيقًا، ألا وهي المملكة العربية السعودية التي مازالت - بحمد الله - منذ عهد الملك عبد العزيز وإلى هذا العهد الزاهر - عهد الفهد العظيم - تسير على ذلك النهج القويم المستمد من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

ومن غير شكٍّ؛ فإن كل جندي من جنود الملك عبد العزيز - طيّب الله ثراه - يحتاج إلى دراسة مستفيضة تكشف عن جوانب العظمة في مدرسة عبد العزيز التي خرّجت مثل أولئك الرجال الأوفياء، سواء أكان ذلك من خلال إخلاصهم وأمانتهم في المهمات التي أنيطت بهم، أم من خلال أخلاقهم وسماتهم الشخصية الكريمة.

وإن من أولئك الرجال المخلصين لله ثم للملك عبد العزيز - طيّب الله ثراه - جدّي لأبي: الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة - رحمه الله - الذي أفنى زهرة شبابه وشطرًا كبيرًا من كهولته وشيخوخته في خدمة حكومتنا الرشيدة منذ أن حظي

بشرف الاستقبال والمشاركة مع الجيش ا لسعودي الفاتح لمنطقة عسير بقيادة سمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد(١) في عام ١٣٣٨هـ، ثم الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز في عام ١٣٤١هـ، وما تلا ذلك من حملات عسكرية لإخضاع قبائل تهامة والقنفذة، وما واكب ذلك من اشتراكه ضمن الوفد السعودي في مهمّات رسمية متكررة إلى اليمن، حتى كُلّف بالإشراف على إدارة مالية منطقة عسير، وضبط نواحي المنطقة إدارياً واقتصادياً، فكان خير معين للأمراء الذين تعاقبوا على إمارة منطقة عسير، بدءاً بالأميرعبدالعزيز بن إ براهيم (٢)، فالأمير عبدالله بن عسكر(٣) وابنه عبدالعزيز(٤)، ثم الأمير تركي بن أحمد السديري (٥)، وانتهاءً بفترة قصيرة من إمارة الأمير تركي الماضي (٦)، حتى توفاه الله تعالى راضيًا مرضيّاً في عام ١٣٧٤هـ، بعد أن قام بواجبه التاريخي والوطني خير قيام.

وإنه ليسرني قبل أن أشرع في الحديث عن جوانب حياة تلك ا لشخصية العصامية الفذّة أن أتقدم بالشكر الجزيل لدا رة ا لملك عبدا لعزيز ولأمينها العام على اختياري وتشريفي بالكتابة عبر هذه ا لمجلة ا لعريقة : مجلة دارة ا لملك عبدا لعزيز في هذا ا لعدد المخصّص لمناسبة ذكرى مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، تلك الذكرى العزيزة على قلب كل مواطن يعيش في هذه البلاد المقدسة، وا لتي تعدّ حدثًا تاريخياً عظيمًا في مسيرة الأمم والشعوب، لأنها نقلتنا من ا لتشرذم والتمزق إلى التآلف والوحدة، ومن الجوع والخوف إلى الرخاء والأمن، ونسأل الله سبحانه أن يجعل هذا الخير الذي نتمتع به في موازين حسنات الملك المؤسس عبد ا لعزيز، وأن يسكنه فسيح الجنان، وأن يلبسه حلل الرضوان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. ونظرًا لقلّة المراجع التاريخية التي تحدثت عن الشيخ عبدالوهاب أبوملحة - رحمه الله - إلاّ أنني بعون من الله قد توفّرت على ما استطعت الحصول عليه منها، إلى جانب ما تحتفظ به أسرتنا (أسرة آ ل أ بوملحة) من وثائق تاريخية قيّمة، وهي عبارة عن الرسائل الثمينة المتبادلة بين الملك عبد العزيز

- طيّب الله ثراه - والشيخ عبد الوهاب أبو ملحة -رحمه الله- .

وأحب أن أنبه القارئ الكريم إلى أن مسار البحث سيكون على النحو الآتي :

أولاً - نسبه وأسرته ونشأته .

ثانيًا- حياته العملية والوظيفية .

ثالثًا- جهوده الحربية في ملحمة توحيد الوطن .

رابعًا- جهوده السياسية في ترسيم الحدود بين المملكة العربية السعودية واليمن .

خامسًا- جهوده الإدارية في ضبط النواحي الاقتصادية بمنطقة عسير .

خاتمة

أولاً- نسبه وأسرته ونشأته:

هو عبدالوهاب بن محمد بن علي بن سلطان بن مفلح بن علي أبو ملحة . قدم جده الأعلى مفلح بن علي الذي ينتمي إلى قبيلة الرشدة الحبابية القحطانية من بلدة الحمرة قريبًا من ظهران الجنوب، وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، حيث استقر في قرية الصمدة، ثم انتقلت ذريته من بعده إلى قرية العرق، وما زالت مزارعهم وبيوتهم القديمة ماثلة بها إلى الآن .

وقد ولد الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة في قرية العرق في أوائل القرن الرابع عشر عام ١٣٠٣هـ، ونشأ في كنف والده الشيخ محمد بن علي الذي كان قاضيًا وعالماً بالشرع، وقد ذكر الدكتور محمد بن زلفه في كتابه : - "عسير في عهد الملك عبدالعزيز" ص٧٤ أنه اطلع على حكمين من أحكامه، أحدهما يتعلق بتقسيم مواريث والآخر في الإصلاح بين قبيلتين، وكذا كان جده الشيخ علي بن سلطان، عالماً بالشرع، وذا وجاهة اجتماعية في قبيلته، وقد أورد الدكتور عبدالله أبوداهش في كتابه "أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة" ص١١٥ صورة وثيقة مختومة بختمه الشخصي في شأن أشراف آل زهر برفيدة قحطان .

إذن فقد نشأ الشيخ عبدالوهاب في بيت علم وفضل ووجاهة اجتماعية

مرموقة، ولهذا فليس بغريب أن تنغرس في أعماق نفسه معاني الرجولة والنجابة والذكاء، والشهامة والنبوغ، ويبدو أن والده الشيخ محمد بن علي قد توفي وابنه عبدالوهاب لا يزال يدرج في مرابع الطفولة والصبا، فكفله عمه سعيدهو وأخاه الأكبر عبدالله بن محمد و كان عمه سعيد قد عمل في الجيش التركي بالمنطقة.

وأما أخوال الشيخ عبدالوهاب فهم أسرة آل المتحمي، الأسرة المشهورة بمواقفها المشرفة مع الدولة السعودية الأولى، ومنهم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالوهاب المتحمي(٧) شيخ قبيلة ربيعة ورفيدة وهو ابن خال الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة، وأما أخوال أخيه عبدالله فهم أسرة آل مشيط .

هذا؛ وقد اشتغل الشيخ عبدالوهاب في مطلع شبابه بالتجارة، وتنقل بسبب ذلك إلى كثير من بلدان عسير (تهامة و السراة) وإلى الحجاز واليمن، فاكتسب خبرة عظيمة في معرفة القبائل والأماكن مما أفاده كثيرًا في الاطلاع عن كثب على الصراع بين القوى التي كانت تحتدم من حوله فيوازن بينها بحصافة فكر وبعد نظر، حتى وفقه الله لاختيار الطريق الأسلم وهو مناصرة الملك المؤسس عبدالعزيز- طيب الله ثراه- فكان بحق من أبرز رجاله المخلصين في السياسة والإدارة والحرب.

ثانيًا-حياته العملية والوظيفية:

ما أن بدأت طلائع جيش الملك عبدالعزيز الفاتح لمنطقة عسير بقيادة سمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد في عام ١٣٣٨هـ والذي جاء استجابة لرغبات أهلها لينقذهم من الفوضى وعدم الاستقرار وكثرة الصراعات. حتى بدأ الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة يتطلع بشوق إلى مناصرة ذلك الجيش المظفر بكل وسيلة يستطيعها، ولقد وجد الفرصة سانحة حينما وصل الجيش السعودي إلى المنطقة وعسكر في قاعة ناهس التي أصبحت اليوم ميدانًا كبيرًا للرماية خاصًا بالقوات المسلحة السعودية، فذهب على رأس وفد من عشيرته مبايعًا ومرحبًا ومؤيدًا، وواضعًا نفسه وأفراد عشيرته على أهبة الاستعداد للمشاركة الفعلية في

الفتح . وبعد أن نشب التمرد ضد منصوب الملك عبدالعزيز في المنطقة من قبل العسيريين وهو الأمير فهد بن عبدالكريم العقيلي(٨) اضطر إلى مغادرة أبها بخيله ورجاله وسلاحه متجهًا إلى الرياض، وعندما وصل إلى خميس مشيط استقبله كل من الأمير سعيد بن مشيط(٩) والشيخ عبدالوهاب أبوملحة، وقداستضافه الثاني في قصره بالعرْق أحسن ضيافة، وكان ذلك في أواخر سنة ١٣٤٠هجرية. ولكن ما أن علم العسَيريون بذلك حتى أغار حسن بن عايض ومن شايعه من المتمردين على خميس مشيط، ثم داهموا قصرالشيخ عبد الوهاب أبوملحة وقبضوا على الأمير فهد العقيلي، وقاموا بإحراق القصر ونهب ما فيه من أموال ومدّخرات ولكنهم لم يجدوا الشيخ عبدالوهاب لأنه كان مسافرًا إلى بيشة، وأما الأمير سعيد بن مشيط فقد تحصّن في قصره بقرية ذهبان واستسلم بعد أن أعطي له الأمان على قصره وأملاكه.

وأثناء سفر الشيخ عبدالوهاب أبوملحة إلى بيشة تواردت إليه الأنباء بقدوم الأمير فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل لإخضاع المتمردين في عسير، فسارع إلى التشرف بمقابلته والسلام عليه وهو لايزال في رنية، حيث أخبره بتفاصيل ما حصل من تمرد حسن بن عايض وأتباعه، فأثنى الأمير فيصل على الموقف المشرف للشيخ عبدالوهاب واستضافته للأمير فهد العقيلي، ثم رحب به للانضمام إلى الحملة العسكرية التي جاءت لإنقاذ عسير من الفوضى، وبعثه برسالة إلى شيخ قبيلة بني واهب الشهرانية، هيف بن ناصر الفويه، وكان أحد المناصرين للملك عبدالعزيز - رحمه الله - كما كان أسلافه من مناصري الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - وقد حثه في تلك الرسالة على الاستعداد والتهيؤ للانضمام إلى الحملة العسكرية السعودية التي باتت على وشك التحرك من رنيه إلى عسير، وتحضير زكوات أموالهم للإنفاق على تلك الحملة وأصل هذه الرسالة محفوظ عند ذرّية الفويه، وهي مؤرخة في ٢١ من المحرم سنة ١٣٤١هـ، فكانت هذه المهمة أولى المهمات

الرسمية في حياة الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة، وهو في العقد الرابع من عمره.

وعلى إثر وفاة أمير عسير سعد بن عفيصان (١٠) المعين من قبل الأمير فيصل ابن عبدالعزيز - رحمهما الله - بادر الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بخطوة رائدة تدل على ولائه وإخلاصه للملك عبدالعزيز من ناحية، وعلى حرصه على استتباب الأمور من ناحية أخرى، وذلك بأن جمع كبار العلماء والوجهاء والأعيان في عسير لاختيار من يحل محل ابن عفيصان حتى يصدر القرار من الملك عبدالعزيز إمّا بتثبيت من اختاروه أميرًا، أو بتعيين من يراه، فوقع اختيارهم على محمد بن جيفان(١١) أميرًا بالوكالة، ثم كتب الشيخ عبدالوهاب بذلك إلى الملك عبدالعزيز يخبره بما حصل، غير أن الملك عبدالعزيز كان قد علم بوفاة ابن عفيصان قبل وصول خطاب الشيخ عبد الوهاب إليه فأصدر أمره بتعيين الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم أميرًا على عسير، وكتب إلى الشيخ عبدالوهاب برسالة مؤرخة في ١٠ من شوال سنة ١٣٤١هـ، قال فيها:

(من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبوملحة سلمه الله تعالى وأبقاه آمين، بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، على الدوام مع السؤال عن أحوالكم، لازلتم بخير وسرور: أحوالنا من كرم الله جميلة، بعد ذلك، بلغنا خبر وفاة سعد بن عفيصان، وهذا يومه الموعود، وأجله المحدود، نرجو أن الله تعالى يغفر له ويرحمه، وهذا شأن الدنيا، ومصير كل حي، وعمّدنا خادمنا عبد العزيز آل إبراهيم أميرًا لكم مكانه، وأوصيناه بما يلزم في جميع الأحوال العائدة مصلحتها للإسلام والمسلمين، نرجو أن الله يجعل به بركة ويوفقنا وإياكم للخير، وهذي إشارة لكم، وإلاّ نجزم أنكم طارفتنا بهـا الطَرَف، وإنكم أحرص منا في جميع الأحوال، ولا بعدك حسوفه، بارك الله فيك ·· نرجو إن الله تعالى يوفق الجميع لما به الصلاح للإسلام والمسلمين، وباقي الأخبار في راسه كفايه. هذا ما لزم تعريفه، مع إبلاغ السلام للعيال، ومن عندنا سيدي الوالد والإخوان والعيال يسلّمون، ودمتم محروسين،

١٠ شوال ١٣٤١هـ كذلك واصلكم مع عبد العزيز آل إبراهيم بشت ودقله وغتره، إن شاء الله ملبوس عافيه . .)

وفي رسالة جوابية أخرى من الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب بصدد هذا الموضوع وردت بعدالرسالة السابقة، وبالتحديد في تاريخ ٦ من ذي القعدة عام ١٣٤١هـ مؤيدًا ومباركًا وشاكرًا للشيخ عبدالوهاب أبوملحة على حسن تصرفه، قال فيها:

(من عبدالعزيزبن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الأفخم عبدالوهاب ابن محمد أبوملحة سلمه الله تعالى آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، على الدوام مع السؤال عن حالكم لازلتم بحال خير وسرور، أحوالنا من كرم الله جميلة. خطوطك المكرمة وصلت وما عرَّفت كان معلومًا، وخصوصًا وفاة المرحوم سعد بن عفيصان، الله يغفر له ويرحمه، هذا ولاشك يومه الموعود. ذكرت عن اجتماعكم مع كبار طوارفنا، واجتماع رأيكم على تنويب محمد بن جيفان مكانه إلى وصول أمير منا، رايكم).

ونلمس من خلال هذه الرسالة الملكية مدى ثقة الملك عبدالعزيز بالشيخ عبدالوهاب أبوملحة، وأنه أراد تهيئته لدور أكثر فعالية في مستقبل حياته: وذلك في المجالات الإدارية والاقتصادية والسياسية والحربية، مما سنلحظه فيما سيأتي من فقرات هذا البحث، نظرًا لما توسّمه فيه من مخايل الإخلاص والأمانة والحزم والنزاهة، وتقديرًا لما قام به من مجهود عظيم في وقوفه إلى جانب الحامية السعودية التي أجبرت على مغادرة أبها في عهدأميرها فهد العقيلي كما مر معنا من قبل، يضاف إلى ذلك ما لحق به من أضرار في حرق بيوته ومصادرة أمواله وتشريدعوائله على يد حسن بن عايض وأتباعه، ثم ما بذله من دور بارز في تنظيم قبائل شهران للوقوف بصدق إلى جانب الحملة العسكرية التي كان على رأسها الأمير فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - والتي أعادت السلطة السعودية على بلاد عسير، وبخاصة أن الملك عبدالعزيزكان قدأرسل إلى الشيخ عبدالوهاب رسالة مؤرخة في ٢٤ من

ذي الحجة عام ١٣٤٠هـ بشره فيها بوصول الجيش السعودي المظفر قال فيها : (إن الابن فيصل واصل إليكم ومعه نخبة من رجال المسلمين وجندهم، وفيه إن شاء الله البركة والسداد، وأعرّفك بأننا لانجازي إلا المسيء وعلى قدر إساءته، ومن جنى فلا يجني إلا على نفسه. . .).

وتبرز الجهود الموفقة للشيخ عبدالوهاب بصورة أكثر وضوحًا عند اشتراكه في المفاوضات التي تمت بين الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم أمير عسير حينذاك وأسرة آل عايض والتي قصد منها إقناعهم بالدخول تحت حكم الملك عبدالعزيز على أن يضمن سلامتهم وسلامة أسرهم وتجنيب منطقة عسير من القلاقل والفتن، فاستجابوا لذلك وتعهدوا بالطاعة والولاء للملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه-.

وكتب الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة رسالة إلى الملك عبدالعزيز أطلعه فيها على ما تم من اتفاق بين الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم وآل عايض، فأجابه الملك عبدالعزيز برسالة مؤرخة في ١١ من صفر عام ١٣٤٢هـ تدل على عطفه وتسامحه مع خصومه، قال فيها:

(عرفت عن مكاتبة حسن بن عايض ومن معه وطلبهم الأمان وندمهم على ما بدر منهم وتأمين ابن إبراهيم لهم ومعاهدتهم إياه على السمع والطاعة وعدم المخالفة، صار معلومًا، الحمدلله رب العالمين، حنًّا مالنا شيء من المقاصد لا لآل عايض ولا لغيرهم، بل قصدنا وغايتنا هي أن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر ودوام السكينة والراحة للرعية، وكل الأمور التي مضت من سوء أفعالهم بأنفسهم، وإلا حنًّا ما قصدنا في شيء من الأمور، والحمدلله عرفوا وقاسوا الأمور، فإن عرفوا نعمة الله عليهم وشكروها وأحسنوا فلأنفسهم وإن أساءوا فعليها، نسأل الله الهداية والتوفيق للجميع. . .)

ونظرًا لما لمسه الملك عبدالعزيز في الشيخ عبدالوهاب من إخلاص وحرص على المصلحة العامة، فقد أصدر أمره الكريم بأن يتولى الشيخ عبدالوهاب شئون بيت مال منطقة عسير (سراة وتهامة) وألح عليه في عدم الاعتذار عن القيام بذلك العمل

الضخم لإدراكه بأن الشيخ عبدالوهاب خير من يتولاه، ولأن ذلك العمل سوف تكون له أهمية قصوى في مستقبل الأيام، وصدرالأمر في رسالة وجهها الملك عبدالعزيز للشيخ عبدالوهاب بتاريخ جمادى الأولى عام١٣٤٢هـ وقال فيها:

(. . . تدري إن بيت مال الجنوب محتاج إلى صلاح تعود منه الفائدة إن شاءالله، وأنت تدري بعظم ثقتنا بالله ثم بك من النصح والاجتهاد فيما يعود بالصلاح لهذه الولاية، ولامن أحد غيرك يصلح لمثل هذا العمل، يكون إن شاءالله توكل على الله وتول جميع بيت مال اليمن، جميع داخله يصير، كذلك ولابد إن شاء الله توافق إنت وعبدالعزيزبن إبراهيم، ولاتعذر عن هاالأمر . . .)

وهكذا فقدامتثل الشيخ عبدالوهاب أبوملحة لأمر الملك عبدالعزيز في تولي إدارة مالية عسير، وأدى عمله بكل أمانة وإخلاص لمدة اثنين وثلاثين عامًا - أي من سنة ١٣٤٢ إلى سنة ١٣٧٤هـ، وقد تخلل عمله ذلك مهام جليلة أخرى كُلِّف بها من قبل الملك عبدالعزيز أثبت فيها كفاءته وحنكته وشجاعته، فكان قائدًا حربيًا، حيث اشترك في عدة معارك ناله فيها كثير من التعب والجراحات كما سأبين ذلك في الفقرة الثالثة المتعلقة بجهوده الحربية، كما كان له دور قيادي رائد في مجال السياسة كما سأبين ذلك في الفقرة الرابعة الخاصة بجهوده السياسية.

ولقد ظل الشيخ عبدالوهاب طوال حياته الحافلة بالأعمال الجليلة موضع ثقة ولاة الأمرومحبتهم بدءًا من الملك عبدالعزيز ثم الملك سعود - رحمهما الله - حتى توفي - رحمه الله - فجريوم الأربعاء الموافق ٢ من ذي القعدة عام ١٣٧٤هـ عن عمر ناهز إحدى وسبعين عامًا قضاها في خدمة الوطن بكل أمانة وإخلاص. وقد نشرت جريدة أم القرى في عددها ذي الرقم ٥٦٠ الصادر يوم الجمعة الموافق ٤ من ذي القعدة عام ١٣٧٤هـ خبروفاة الشيخ عبدالوهاب أبوملحة بهذا النص:

(توفي في أبها حضرة صاحب السعادة الشيخ عبدالوهاب أبو ملحه الرئيس العام لجميع ماليات منطقة عسير وتوا بعها بعد عمرطويل قضاه - رحمه الله - في خدمة مليكه ووطنه. كان رحمه الله تعالى من كبارالشخصيات البارزة في هذه

البلاد الذين ساهموا بنشاط وافر من التضحية والوطنية والجد والاجتهاد في استتباب الوضع الحالي، فأدى بذلك أجلَّ الخدمات لهذا الوطن العزيز، كما اتصف بالأمانة والنزاهة والاستقامة والشهامة العربية وروح التضحية والشجاعة والإقدام، فساهم في كثير من المعارك الحربية في إبَّان تأسيس هذه المملكة الفتية وكان شجاعًا مقدامًا وقائدًا حربيًا باسلاً، فالتفت إليه من أجل ذلك كله مؤسس هذه المملكة العظيم، فقرّبه وكافأه على إخلاصه ووفائه وشجاعته بما هو جدير به، وحفظ كل ذلك حضرة صاحب الجلالة الملك سعود المعظم، فأنزله المنزلة الجدير بها والثقة الغالية. وما كاد نبأ وفاته يصل لمسامع جلالته حتى سارع حفظه الله بالإبراق لأولاده وذويه معزيًا ومواسيًا، وأمر سعادة أمير المقاطعة تركي الماضي بإبلاغ أبنائه وعائلته تعازي جلالته ومواساته لهم، وعطفه عليهم. وتقديرًا لخدمة الفقيد لمليكه ووطنه أمر بأن تبقى لعائلته رواتبه ومخصصاته وكل ما كان يجري في حياته، كما أمر جلالته حفظه الله بأن تسند شؤون المالية التي كان يقوم بها الفقيد إلى أرشد أبنائه. وهذا العطف الأبوي من جلالته صورة مكررة اتبعها جلالته مع كل مخلص لبلاده ووطنه من الموظفين ويحفظها لهم في البر بأولادهم وذويهم بعد موتهم).

ثالثًا- جهوده الحربية في ملحمة توحيد الوطن:

سبقت الإشارة إلى أن الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة قد أبلى بلاء حسنًا عندما انضم إلى الحملة العسكرية التي جاءت من الرياض بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - من أجل قمع حركة المتمردين في عسير عام ١٣٤٠هـ، ثم إنه كُلِّف بعد ذلك من قبل الملك عبدالعزيز بقيادة عدد من المعارك الحربية في ملحمة توحيد الوطن، ومن ذلك قيادته للجيش السعودي الذي أعاد لميناء القنفذة سكينته بعد أن حرره من حامية الشريف حسين بن علي، وكان ذلك في أوائل عام ١٣٤٣هـ، كما قام ببعض التنظيمات التي نالت استحسان الملك عبدالعزيز، حيث قام بالاشتراك مع الأمير عبدالله بن عسكر بإيفاد كل من محمد بن عجاج وتركي بن

ماضي للقيام بأعمال إمارة القنفذة والمالية وقد وصل معهم الشيخ عبدالوهاب إلى القنفذة وتم استلامهم للسلاح من عبدالله بن حمزة منصوب الشريف. وقد كتب بذلك رسالة إلى الملك عبدالعزيز وبشّره بما حصل من التحرير والتنظيم، فكان لذلك الإنجاز العظيم أثره الحسن لدى الملك عبدالعزيز وازدياد ثقته في الشيخ عبدالوهاب، وقد ظهر ذلك في الرسالة التالية المؤرخة في ١٩ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ: (من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى وأبقاه آمين، بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، على الدوام مع السؤال عن أحوالكم لازلتم بخير وسرور. أحوالنا من كرم الله جميلة، خطك الكريم الذي من القنفذة وصل، ما عرّفت كان معلومًا، مخصوصًا ملفاكم إلى القنفذة أنت وابن عجاج وابن ماضي قبضتوا من ابن حمزة السلاح وغيره صار معلوم كذلك صار معلوم أن ابن عجاج أمير وابن ماضي قبيض، فيكم إن شاء الله جميعًا البركة، لابد إنك حرّصتهم على ضبط شغلهم وداخلهم ورسومهم، موجب معلومكم المال راجع أمره لك، وأنت المسئول فيه، مع هذا لازم من تعريفهم بالرفق وتطمين الناس وتسهيل الأمور في جميع الأحوال، يكون إن شاء الله تأكدون عليهم في ذلك يكون معلوم، ومن قبل حنًا ألفينا مكة بالسلامة . . . إلخ)

كما أن الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة قد تولى قيادة قبائل منطقة عسير في الحرب الفاصلة ضد الإدريسي في منطقة جازان عام ١٣٥٠هـ حيث صدر الأمر من الملك عبدالعزيز إلى أمير عسير آنذاك عبدالعزيز بن عبدالله بن عسكر بتجهيز حملة عسكرية سريعة للقضاء على تمرد الإدريسي، فشكل بن عسكر جيشًا قوامه ثلاثة آلاف وخمس مئة مقاتل من قبائل عسير وقحطان وشهران، يرأسهم الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة ومعه عمر آل عسكر، وتحرك ذلك الجيش السعودي الباسل من أبها نزولاً من عقبة ضلع، وبعد مقاومة يسيرة من أتباع الإدريسي تم الاستيلاء على صبيا عاصمة حكمه بتاريخ ٢٦ من شهر صفر عام ١٣٥٠هـ، ثم تحرك الشيخ

عبدالوهاب ومن معه من المقاتلين وانضموا إلى المدد الذي جاء من الطائف بقيادة الشريف خالد بن لؤي(١٢)، ثم ابنه سعد بعد وفاة أبيه، ولقد أبلوا جميعهم بلاءً جميلاً في معركة المضايا التي أصيب فيها الشيخ عبدالوهاب بجراح بليغة من أثر رصاصة بندقية اخترقت فخذه الأيمن، ولكن الله أنجاه إلى أجل، وظل يتعالج من تلك الإصابة شهوراً، وكان ذلك في أواخر شعبان من عام ١٣٥٠هـ، وقد وصل مدد عسكري من الرياض إلى المنطقة بقيادة سمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد قوامه خمسة عشر ألف مقاتل، اتضح ذلك في رسالة موجهة من الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب أبوملحة يخبره فيها بقدوم ذلك المدد قال فيها:

(من عبدالعزيزبن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب الأخ المكرم عبدالوهاب بن محمدأبوملحة ووكيله في أبها سلمه الله تعالى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعد ذلك عرّفناكم أنكم ما تسددون حوايل أبداً بل تبقون جميع الذي عندكم للوازم إن شاء الله، ومن قبل عبدالعزيز بن مساعد واصلكم إن شاء الله تمتثلون أمره على كل حال مادام هوعندكم في ذهاب وغيره وتبينون له حاصلاتكم وموجودا تكم كلها، المقصود لاتمانعون في شيء يأمر به عليكم من كل الأمور، لأنه محل نفسي واحرص في جميع الأحوال دقيقها وجليلها، هذا ما لزم تعريفه والسلام . . .)

وبتوفيق من الله تعالى استطاعت تلك الجيوش السعودية المظفرة مجتمعةً أن تقضي نهائياً على ما كان يسمى بالإمارة الإدريسية والتي كانت تشكل مصدراً رئيساً للاضطرابات والقلاقل في المنطقة الجنوبية من المملكةالعربية السعودية، وكان ذلك في أواخر شوال من العام ١٣٥١هـ

ويستمر الدور المشرف للشيخ عبدالوهاب أبو ملحة ضمن إطار جهوده الحربية في ملحمة توحيد الوطن، وذلك عندما تلقى رسالة من الأمير سعود بن عبدالعزيز رحمه الله وهويحارب جنود إمام اليمن يحيى حميدالدين قريباً من نجران، بعد أن نفد ما مع الأمير سعود وجيشه من الطعام وأصبحوا في جوع شديد، والرسالة

مؤرخة في ١١ من ربيع الأول عام ١٣٥٣هـ وقال فيها:

(لو تسوق نفسك وعيالك فيما يجملني ما ذخرت، ولايمكن بيلزي القوم إلا ما ذكرنا، سبعة آلاف ريال، أو عشرة آلاف صاع، وتقطع من الزكاة أو تدبرها على نظرك يا عبدالوهاب، يا ذخري، احرص على العجلة، بارك الله فيك، هذا ما لزم تعريفه، والسلام...).

وعندما تسلم الشيخ عبد الوهاب تلك الرسالة المؤثرة بادر إلى جمع ما استطاع الحصول عليه من حب الذرة المخلوطة من القبائل بالتعاون مع الشيخ حسين بن صمان(١٣) شيخ قبائل ذعي وبني قيس، وأمربطحنها وتعبئتها في أكياس، ثم أرسلها بسرعة إلى مقر جيش الملك سعود -رحمه الله- مما كان له أثره البالغ في سد حاجة المقاتلين من الطعام. ومن غير شك؛ فإن ذلك التصرف الحكيم من الشيخ عبدالوهاب ليُعدُّ واحدًا من الأعمال المجيدة التي تُسطَّر بأحرف من نور في سجلِّ خدماته الجليلة التي قدمها لمليكه ووطنه.

رابعًا- جهوده السياسية:

على الرغم من أن الشيخ عبدالوهاب أبوملحة لم يتخرج في جامعة متخصصة في علوم السياسة الدولية، إذ لم يزد ما تعلمه في الكتَّاب على معرفة القراءة والكتابة وحفظ بعض سور القرآن الكريم، إلا أنه قد أوتي حكمةً ودهاءً وبعد نظر وحصافة تفكير ونبوغًا وذكاءً غير عادي ورثه من أسرته العلمية، واكتسبه كذلك من خلال تجربته العميقة في هذه الحياة ومن تمرُّسه بالأعمال الإدارية منذ مطلع شبابه، ولذلك فقد أدرك الملك عبدالعزيز- طيب الله ثراه- تلك المناقب الكريمة المتوافرة في الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة فرشحه للقيام بعدد من المهمات الرسمية المتعلقة بالسياسة، على أنه رجل دولة، إلى جانب ما قام به من أعمال حربية وإدارية في خدمة الوطن.

وفي ضوء جميع تلك الاعتبارات فقد اشترك الشيخ عبدالوهاب مع الوفد

السعودي الذي أرسله الملك عبدالعزيز لمقابلة إمام اليمن يحيى حميد الدين في صنعاء، من أجل إنهاء المشكلات الحدودية بين المملكة العربية السعودية واليمن، وقد تكون الوفد من الشيخ عبدالوهاب أبوملحة ومن الشيخ سعيد بن مشيط والشيخ محمد بن دليم وكذلك الشيخ عمر بن عسكر، حيث غادر الوفد أبها إلى صنعاء ومكث فترة من الزمن وعاد دون فائدة، فأوفد وفد آخر مكون من الشيخ عبدالوهاب أبوملحة والشيخ سعيد بن مشيط والشيخ تركي بن ماضي في أواخر شهر ذي القعدة عام ١٣٤٤هـ ووصل إلى صنعاء في ٣ من شهر ذي الحجة من العام نفسه، وكانت مهمة الوفد إطلاع الإمام يحيى على ما كان من التجاء متمردي الأدارسة إليه، والطلب منه بمنعهم من إثارة القلاقل ضد المملكة، والاتفاق معه على تثبيت الحدود وحسن الجوار، وإنشاء علاقات صداقة وحسن تفاهم، ولكن مما يؤسف له أنه في ظل تعقيد الإمام يحيى لمساعي الوفد السعودي وادعائه بشرعية حكم الأدارسة في منطقة جازان، ورفضه للحكم السعودي عليها ومطالبته بضم عسير إلى اليمن، اضطرَّ الوفد السعودي للعودة إلى أبها في أواخر شهر المحرم عام ١٣٤٤هـ حاملاً رسالة من الإمام يحيى إلى الملك عبدالعزيز، تضمنت في طياتها طابع العنجهية والتعالي والرغبة في عدم الاتفاق نظرًا لانخداع إمام اليمن آنذاك بالوعود المعسولة من إيطاليا بأن تمده بمختلف الأسلحة، رغبةً منها في إثارة الفتن في المنطقة، ولكنْ شتَّان بين موقف الملك عبدالعزيز المتسم بالرزانة والنَّفَس الطويل في التعامل مع الخصم والثبات على مبدأ حسن الجوار، وبين موقف الإمام يحيى المتسم بالتقلُّب وعدم الثبات على مبدأ لكن الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه- لم يفقد الأمل في التوصل إلى اتفاق فاستمر في إرسال الوفود تلو الوفود وكان آخرها الوفد المشكل من كل من الشيخ عبدالله بن معمَّر والشيخ عبدالوهاب أبو ملحه والشيخ فهد بن زعير والشيخ محمد بن دليم والشيخ صالح العبدلي والشيخ محمد يحيى باصهي، ولكن كل هذه المحاولات الخيرة من قبل الملك عبدالعزيز لم تقابل بقبول حسن من إمام اليمن، مما أدى إلى هزيمته السياسية والعسكرية والقضاء على حكمه

وحكم أسرته من بعده نهائياً في اليمن.

ولقد قام الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بدور رائد في حضور جلسات لجنة الحدود السعودية اليمنية المشتركة التي تم انعقادها في ظهران الجنوب في الفترة ما بين الأول من شهر رمضان المبارك والحادي والعشرين من شهر شوال لعام ١٣٥٤هـ حيث أدلى بآرائه السديدة في تلك الجلسات من خلال المحاضر التي بلغ تعدادها أربعة وعشرين محضراً انتهت بترسيم الحدود بين المملكة العربية السعودية واليمن بناءً على معاهدة الطائف المؤرخة في ٦ من شهر صفر عام ١٣٥٣هـ بتوقيع كل من صاحب السمو الملكي الأمير (الملك) خالد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله ممثلاً للمملكة العربية السعودية، وعبدالله بن أحمد الوزير ممثلاً لليمن فيما عرف بمعاهدة الصداقة بين المملكة العربية السعودية وبين مملكة اليمن. هذا؛ وقد فصَّل الدكتور محمد بن زلفة بنود تلك المعاهدة السياسية ومحاضر جلسات الوفدين السعودي واليمني في كتابه: (عسير في عهد الملك عبدالعزيز: دراسة وثائقية) وذلك من صفحة ٢٠١ إلى صفحة ٣٠٢ لمن أراد أن يرجع إلى ذلك.

خامسًا - جهوده الإدارية في ضبط النواحي المالية بمنطقة عسير:

باشر الشيخ عبدالوهاب أبوملحة مهام وظيفته في إدارة مالية منطقة عسير بتكليف من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وذلك في شهر جمادى الأولى عام ١٣٤٢هـ كما أشرت إلى ذلك من قبل. ومنذ أن بدأ الشيخ عبدالوهاب عمله في إدارة مالية عسير؛ فإنه حرص على اختيار موظفيه بعناية فائقة، حيث استقطب لمعاونته في القيام بتلك المهام الجسيمة مجموعة من الأشخاص المؤهلين الناضجين الذين مارس أكثرهم مثل تلك الأعمال إبان الحكم التركي في عسير، وأما الباقون فمن أبناء المنطقة وممن وفد عليها من المناطق الأخرى في المملكة، وقد بلغ مجموع أولئك الموظفين ما يزيد على سبعين موظفًا، وهم:

١- علي بن حسن بن خنفور
٢- عبدالله بن إلياس
٣- عبدالله بن مسفر
٤- كاظم برادة
٥- أحمد أبوهليل
٦- صالح أبو هليل
٧- أحمد حيدر
٨- محمد حيدر
٩- محمد البسام
١٠- محمد رضا
١١- أحمد عبيد
١٢- محمد نصيف
١٣- عبدالله بن علي بن حميِّد
١٤- عمر حلمي
١٥- عمر مهدي
١٦- حسين سمكري
١٧- محمد البريكان
١٨- خليل محمد
١٩- علي المغيدي
٢٠- محمد المغيدي
٢١- عبدالله الشريف الحازمي
٢٢- علي الشريف
٢٣- عبدالله بن معتق
٢٤- سعيد الغماز
٢٥- يونس حمد
٢٦- الحسن بن محمد عثمان
٢٧- إبراهيم إسلام
٢٨- محمد بن مسعود
٢٩- يحيى بن علي بن عبدالله
٣٠- محمد بن صالح التركي
٣١- عبده بن إبراهيم عداوي
٣٢- أحمد بن سالم مروعي
٣٣- حامد عباس
٣٤- عبدالقادر خورشيد
٣٥- محمود أحمد
٣٦- محمد ريِّس
٣٧- محمد بن سعيد مطر
٣٨- حمزة منظور
٣٩- حسن مفتي
٤٠- إبراهيم بن علي الخفط
٤١- علي بن سلطان
٤٢- نور الدين عطرجي
٤٣- محمد بن سعيد كمال
٤٤- عبدالله بن محيا
٤٥- عبدالله العمير
٤٦- يحيى الحسين
٤٧- محمد بن عزيز
٤٨- مصطفى بن عزيز

٤٩- عبدالله بن أحمد بدوي
٥٠- إسماعيل بدوي
٥١- محمد بن جمود بدوي
٥٢- ناصر كابلي
٥٣- محمد البربر
٥٤- سليمان الرواف
٥٥- صالح خليفة
٥٦- حمد الميمان
٥٧- سليمان رجب
٥٨- علي جنيد
٥٩- حسن حكيم
٦٠- خودان بن مطر
٦١- عوض بن عبدالله
٦٢- رجب أسعد الفرد
٦٣- حمد العبدلي
٦٤- محمد البيومي
٦٥- محمد بن يوسف
٦٦- أبوطالب
٦٧- محمد بن لاحق
٦٨- أحمد أبو شقارة
٦٩- محمد بن صالح
٧٠- عبدالله المتبولي
٧١- عبدالله باذيب
٧٢- سراج عابد
٧٣- أحمد سيت
٧٤- محمد حابس
٧٥- أحمد سيف الدين
٧٦- نور الدين عطرجي

إلى غير أولئك من الموظفين الذين كانوا جميعهم يعملون تحت إدارة الشيخ عبدالوهاب أبوملحة، فمنهم من عمل معه في مالية أبها، ومنهم من عمل بالفروع المالية التي أنشئت بعد ذلك في النماص وظهران الجنوب وبيشة ونجران وجازان ومحايل ورجال ألمع والقنفذة وبارق والبرك والقحمة وقنا والبحر والحرجة والمجاردة، ولقد كان لأولئك الموظفين إسهامات رائدة في العمل بذلك الجهاز الإداري الحساس، كما أنهم جميعًا قد انتقلوا إلى رحمة الله تعالى عن هذه الدنيا تاركين بصماتهم الوضاءة لترسم للأجيال التي جاءت بعدهم طريقًا نيِّرًا في هذا الميدان بعد أن وضعوا الأسس القويمة في مجالات الإدارة المالية والمحاسبية.

ويمكن تقسيم المراحل التي مرت بها إدارة المالية في أبها إلى مرحلتين: فأما المرحلة الأولى وهي تبدأ من تاريخ تكليف الشيخ عبدالوهاب أبوملحة بهذا العمل في عام ١٣٤٢هـ إلى عام١٣٥١هـ؛ أي لمدة تسع سنوات ظلت فيها المالية تسير في عملها على طريقة النظم المالية التي كان يُعمل بها إبان العهد التركي في عسير، وكانت إدارة المالية بعسير تقوم بتحصيل الزكوات من الحبوب والأنعام عن طريق مندوبين يطلق عليهم اسم (عاملة الزكوات) ويتم تشكيل أعضائها من قبل المجلس الإداري، وتتكون العاملة من أمير العاملة بالإضافة إلى كاتب وقابض واثنين من أهل الخبرة وأحد الأخويا كدليله ويصطحبون معهم تعليمات إيضاحية من المالية يسيرون في ضوئها وخطابات رسمية موجهة إلى مشايخ القبائل ونواب القرى. وكانت هناك الضرائب التي تُستوفى من كل ما يرد إلى الأسواق الأسبوعية العامة مثل سوق الثلاثاء في أبها وسوق الخميس في خميس مشيط وغيرهما من الأسواق المنتشرة بالمنطقة الجنوبية، وكان لكل سوق محصِّل يتسم بالصدق والأمانة والاتزان يقوم بتحصيل كل ما يرد إلى تلك الأسواق من البضائع المراد بيعها، فكان يؤخذ من حزمة الحطب عود واحد، ومن البرسيم حزمة واحدة، ومن مد القهوة ملء الكف أو ما يسمى بالصفحة وعلى كل رأس من الغنم قرش ونصف أميري، وعلى رأس الجمل اثنان وعشرون قرشًا أميريًا، وعلى رأس الحمار خمسة قروش ونصف قرش أميري، وقس على سائر المبيعات الأخرى، هذا إلى جانب الضرائب الجمركية التي كانت تفرض على جميع البضائع التي ترد عن طريق الموانئ البحرية في المنطقة مثل ميناء القنفذة والبرك وجازان والشقيق والقحمة، وكذا ما كان يرد عن طريق المنافذ البرية، مثل ظهران الجنوب ونجران والموسَّم، وكانت تستوفى على البضائع ضرائب إضافية كلما نقلت من مكان إلى آخر، وتسمى بفسح الكوشان، أو تخريجة إلى أن أصدر الملك عبدالعزيز أمرًا بعدم استحصال تلك الضريبة على البضائع المنقولة من مكان إلى آخر في داخل المملكة أكثر من مرة، وقد ورد ذلك الأمر في رسالة موجهة من الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب أبوملحة في عام

١٣٤٧هـ، كما أمر الملك عبدا لعزيز بإلغاء الرسوم التي كانت تفرض على البضائع الواردة إلى بلاد عسير من المناطق التي كانت واقعة تحت النفوذ الإدريسي، وذلك من أجل التخفيف على الرعية من دفع الرسوم، ولكن الشيخ عبدالوهاب كتب رسالة إلى نائب الملك في الحجاز وهوالأمير(الملك) فيصل بن عبدالعزيز يلتمس فيها إعادة النظر في ذلك القرار، فأجابه برسالة مؤرخة في٢٧ من رجب عام ١٣٤٨هـ ومما قال فيها: (وقد عُلم كلما بينتوه من جهة الرسوم بينكم وبين سواحل الأدارسة والأضرار التي تتوقعون حصولها من حذف الرسوم التي تستوفى على واردات تلك الجهات، ورأيكم في تدارك ذلك، نخبركم أن وكالة المالية العامة قد رأت نفس هذه المرئيات، وحاذرت أيضًا من المضار التي حاذرتم منها أنتم، وقدكتبت لصاحب الجلالة مولاي الملك - أيده الله - في هذا الصدد، وأوضحت لأنظار جلالته الأمر تفصيلاً، وهاأنذا في انتظار ورود الجواب من جلالته)

وصدر الأمر كذلك بتوحيد التعرفة الجمركية في الموانئ البرية والبحرية، وذلك في رسالتين من الملك عبد العزيز إلى الشيخ عبدالوهاب، إحداهما مؤرخة في١٦ من ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ، والثانية في ٢٤ من ذي الحجة من العام نفسه، على رأس الرقيق عشرون ريالاً، وتضاف إليها عشرة ريالات للقادمين عن طريق البحر وعشرون ريالاً للقادمين عن طريق المنافذ البرية. وبالإضافة إلى ما سبق من الضرائب، كانت توجد ضريبة الجهاد أو ما كان يسمى بالمغزا، وهي ما كان يؤخذ من المال ممن لم يشارك ولي الأمر في قتال من أهل الحواضر والبوادي، وهو ما عبر عنه الملك عبدالعزيز بقوله في رسالة إلى الشيخ عبدالوهاب غير مؤرخة، حيث قال: (هي ما يؤخذ على الناس الذي ما هم حروث مغزا ولا ينفعون في المغازي ...)

وكانت هناك النكالات وهي نوع من الغرامة المالية التي تفرض على كل من يرتكب جريمة، إذ لايكتفى بإقامة الحد الشرعي عليه، بل تفرض عليه وعلى عاقلته غرامات مالية رادعة.

وكانت المالية في أبها تقوم بالصرف مما يرد إليها من الزكوات على احتياجاتها في روا تب موظفي الدولة، أي إن تلك الرواتب في ذلك العهد لم تكن نقدية، وإنما كانت عينية، وأما المقررات والشرهات والبروات والقواعد فكانت لا تصرف إلا بأمر من الملك عبدالعزيز، ومن ذلك أنه أمر للشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بمبلغ ألف ريال قاعدة تصرف كل ستة أشهر من دخل جمرك القنفذة، وقد ورد ذلك الأمر في رسالة للشيخ عبدالوهاب بدون تاريخ، وبما أن مالية أبها هي التي كانت تتولى صرف المرتبات للموظفين، ثم ترفع كشوف الحسابات بعد ذلك إلى الملك عبدالعزيز ليطلع عليها، فقد لاحظ ضخامة ما يُصرف من الأمور العينية والنقدية، فأرسل إلى الشيخ عبدالوهاب رسالة قال فيها:

(. . . بعد ذلك مرسولكم الحسابات وصلت، واطلعنا عليها ووجدنا كلها مصاريف مالها سنع، وتعجبنا منها كيف هاالاشياء تجري وتصرفون هاالمصاريف بغير قياس، لكن الذي فات ما نقدر نرده، وإنما صيرة مصاريفكم مهيب معينة شي ما يمكن، فأنتم وابن عسكراجلسوا وعينوا المصاريف اللازمة للقصروالضيف والخدام، من كل شيء يصير شيء معيّن، كل شهر يأخذونه إن زاد لهم وإن قصر عنهم، ولكن افطنوا للوسط لاباكرإذا روّحتوا للورق وإذا هي خارجة عن العادة، لأن جميع مراكزنا معيّن لها مصاريفها، والقياس عندنا، وإذا تعديتوا القياس الذي معيّن لغيركم ما طعناكم، فأنتم شوفوا السنع الذي يصير ما به قاصر، والزود ما أمر الله به يكون . . .)

وكان إصدار الحوالات المالية لايتم إلا بأمرمن الملك عبدالعزيز، ولهذا فقدأرسل رسالة إلى الشيخ عبدالوهاب بتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٣٤٩هـ وبيَّن له فيها بأنه يُمنع منعاً باتاً تسديد أيَّة حوا لة تصدر إلا منه شخصياً، أو من وكيل المالية العام في الحجاز حيث قال:

(. . . نبلغكم وننذركم من قبل الحوايل التي ترد عليكم من بعض عيالنا أو غيرهم، احذروا تسدون منها شيئاً قطعياً لاكثير ولا قليل، وإذا تجرِّيتوا على شيء

من ذلك خلافاً لما أمرناكم به فلا نقبله ولا نجيزه، ويكون ذلك من مالكم الخاص، بل إنكم تتعرضون لعدم رضانا، وأما ما تحول عليكم به وكالة ماليتنا في الحجاز فهذا اقبلوه واعتمدوا سداده، احرصوا على اعتماد وتنفيذ ما ذكرناه لكم . .)

وكانت مالية أبها تقوم في نهاية كل عام بإعداد الحساب الختامي للواردات والمنصرفات، ثم ترفعه إلى وكالة المالية العامة في مكة المكرمة، وفي مرة من المرات تأخرت مالية أبها في رفع حساباتها فكتب الملك عبدالعزيز رسالة إلى الشيخ عبدالوهاب قال فيها:

(. . . من طرف حسابكم هذا مثل بيض الصعو يذكر ولا يشاف، كل دفعة تذكرون أنكم تبون ترسلونه مع رجال لكم ولا رأينا ذلك . .)

وكان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- كلما سافر إلى الحجاز كتب للشيخ عبدالوهاب لثقته التامة به بإرسال ما يحتاج إليه من مواد غذائية مثل العسل والقهوة والغنم وغير ذلك، كما ورد في الرسالة المؤرخة في ١٠ من شهر رمضان المبارك لعام ١٣٤٥هـ، والتي أكد فيها الملك عبدالعزيز على الشيخ عبدالوهاب بأن يستعجل في إرسال تلك الأرزاق إلى الحجاز قبل نهاية شهر شوال من العام نفسه.

وهنا أصل إلى المرحلة الثانية التي مرت بها إدارة المالية في عسير، وتبدأ ببداية عهد التنظيمات الإدارية بعد توحيد المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١هـ حينما سنَّ مجلس الوكلاء الذي سمي بعد ذلك مجلس الشورى نظمًا جديدة لإدارات الماليات بالمملكة، وحظيت بالموافقة السامية من الملك عبدالعزيز - طيَّب الله ثراه - ففي عام ١٣٥٤هـ أنشىء فرع لوزارة المالية بأبها ليقوم بالإشراف على جمع الزكاة وتحصيل الضرائب وصرف رواتب الموظفين والإعانات المتعددة التي تقدمها الحكومة - وفقها الله - لمواطنيها، وكانت المالية تقوم بالإشراف المباشر على جميع موظفي الإدارات الحكومية بعسير كالإمارة والشرطة والبلدية وغيرها في صرف رواتبهم وحسم التقاعد عليهم واستحداث الوظائف التي تحتاجها كل إدارة وتعيين الموظفين في الوظائف الشاغرة، وكانت رواتب الموظفين تُعمل في جداول

الرواتب، ثم تسلّم إليهم بعد أخذ توقيع كل موظف منهم بالاستلام، ثم تصدّق تلك الجداول من أمير المقاطعة ومدير المالية حتى أنه في عام ١٣٥٩ صدر أمر من المقام السامي بضم جميع ماليات المنطقة الجنوبية وفروعها لمالية عسير، حيث سميت مالية أبها وتوابعها وهي تمتد من جازان إلى القنفذه إلى بيشة فنجران وكانت المالية في أبها تقوم بإعداد الميزانيات لكافة المنطقة الجنوبية؛ وأخيرًا بدأ في عام ١٣٧٥ عهد التنظيمات الإدارية الدقيقة، حيث شكلت الوزارات وأصبحت كل وزارة تقوم بإعداد ميزانيتها ومن ثم إرسالها لوزارة المالية لمناقشتها وإعداد اللازم بذلك فأصبح دور المالية ينحصر في إقرار ميزا نية أية وزارة حكومية وحفظ الأموال لديها، بينما تقوم كل وزارة باستلام مخصصاتها السنوية منها، وقد كانت الميزانية في الماضي تشمل البنود التالية :

١ - مخصصات الإمارة (رواتب ومنصرفات متفرقة).
٢ - مخصصات القضاء والمطاوعة .
٣ - مخصصات المالية .
٤ - الشئون العسكرية .
٥ - نقليات وسفريات .
٦ - القواعد المتنوعة .

وقد بلغت ميزانية نجران في عام ١٣٥٦هـ حسبما ورد في وثيقة معهدالإدارة العامة حوالي (١٣٠٨٢٨٣ قرشًا سعوديًا) وميزانية بيشة لعام ١٣٥٥هـ (٤١٨٩٠٢ قرش سعودي) وذلك بعد اعتمادها من المجلس المالي ثم مجلس الوكلاء الذي كان يقرر اللازم نحو كل ميزا نية تقدم إليه، وكانت المالية تقوم بالإشراف على الشئون التجارية في كل إقليم: من حيث الالتزام بالتسعيرة الرسمية وتحديد المكاييل والموازين وتحديد نصابها وتنسيق واردات الإقليم ومنصرفاته التي يمكن حصرها في الزكاة والضرائب والجمارك والطوابع، وأما المصروفات فتشمل رواتب الموظفين والعسكريين والإعانات وا لشئون المحلية، وبالرجوع إلى الوثيقة المحفوظة بدارة

الملك عبدالعزيز ذات الرقم٣٨١ وتاريخ ٢٢ من ربيع الآخر عام ١٣٥٣هـ نجد أن الملك عبدالعزيز أصدر أمره بتحديد رواتب موظفي إمارة بيشة على النحو التالي :.

- راتب الأمير ٣٠٠ ريال .
- مخصصات الضيافة والأرزاق ٥٠٠ ريال .
- المطوع ٣٠ ريالاً .
- الكاتب ٦٠ ريالاً .
- الأخويا ٦٠٠ ريال ، وكان عددهم ثلاثين شخصًا .
- العلف ١٠٠ ريال .

بالإضافة إلى المخصصات العينية اليومية مثل الأرز والتمر والبر ، فكان يصرف لأمير نجران ٢٠ صاعًا من الأرز يوميًا للضيافة ، وعشر وزنات من التمر لغذاء الخدام وهجورهم ، وفي حالة تعذر صرف معاشات الموظفين نقدًا يُعطى لهم بدلاً عنها إمَّا عنز أو تيس أو كمية من الحَبّ ، أو حزمة من الحطب أو غير ذلك ، وقد ورد ذلك في ميزانية إمارة نجران المبلغة من قبل وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بتاريخ ٢٣ من المحرم عام ١٣٥٧هـ ، وهي محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز ، ورقمها ٨٤٢ .

وكان للشيخ عبدالوهاب أبو ملحة دوره البارز في إنشاء أول جيش نظامي في عسير ، وذلك بأمر من الملك عبدالعزيز ، حيث أبرق له ببرقية سرية جداً بتاريخ ١٠ من صفر عام ١٣٥٢هـ يخبره فيها عن عزمه على تكوين جيش مدرّب في أبها ليكون مستعداً لصد التحرشات القائمة من إمام اليمن يحيى حميد الدين ، ويكون ذلك الجيش في حدود ألف جندي ، على أن يساعده عند اللزوم الجيش الموجود في جازان ، إلى جانب المحاربين من قبائل عسير المعروفة بشجاعتها ونصحها ، وبذلك يُستغنى عن تسيير الجيوش من نجد ، لما في ذلك من كلفة على الحكومة في ذلك العهد ، وإذا احتاجوا إلى زيادة فينضم إليهم غزو قبائل بيشة والوديان وعساكر الحجاز ، وفي عام ١٣٥٦هـ صدرت ميزانية نجران من وزارة المالية ، وكانت الميزا نية

تشمل إيضاحات وافية عن المفرزة المرابطة هناك من حيث عددأفرادها ومرتباتهم وكانت على النحوالتالي:

- قائدالمفرزة ٨٢٥ قرشًا.
- ملازم ثاني رشّاش ٦٦٠ قرشًا.
- كاتب المفرزة ٥٥٠ قرشًا.
- ضابط صف برتبة نائب ٣٣٠ قرشًا.
- جندي برتبة عريف ٢٨٨ قرشًا.
- جندي أول ٢٤٧ قرشًا.

وقد بلغ عددالقوة الموجودة في أبها عام ١٣٦٠هـ التي تتكوّن من خمس سرايا موزعة على الأسلحة التالية:

- السرية الأولى مشاة ٧٩ شخصًا.
- السرية الثانية مشاة ٥٣ شخصًا.
- السرية الأولى رشاش ٥٥ شخصًا.
- السرية الثانية رشاش ٥٢ شخصًا.
- سرية المدفعية ٦٠ شخصًا.

وكانت قلعة شمسان مقر قيادة الجيش في أبها، وكان يوجدفي الشعبين طاقم مدفع يتكون من عريف وأربعة جنود، ومن أهم المهمات الحربية التي قام بهاالجيش النظامي في أبها خلال تلك الفترة الزمنية أنه شارك بقوة مكونة من مئتين وثلاثين جنديًا وخمسة من الضباط في حرب القهر عام ١٣٦٠هـ إلى جانب غزو قبائل منطقة عسير بقيادة الأمير تركي بن أحمد السديري من أبها والأمير خالد السديري من جازان، وقد سميت تلك ا لحرب بغزوة الريث كذلك حرب الريث وهي القبيلة التي كانت تقطن قمة جبل القهر، وقد تمردت تلك القبيلة في عام ١٣٥٤، ثم في عام١٣٦٠، ثم في عام ١٣٧٥هـ، وكان للشيخ عبدالوهاب إسهامه في تأديب تلك القبيلة المتمردة في المرتين الأوليين، حيث نزل مع الأمير تركي السديري وقاضي أبها

ا لشيخ عبدالله بن يوسف الوابل(١٤) على رأس الجيش السعودي الذي أعاد الأمور إلى نصابها، وكان توزيع قبائل عسيرالتي شاركت مع الجيش النظامي في تلك الحروب على النحو التالي:

- قبيلة شهران بقيادة شيخها سعيد بن مشيط ومعه ٢٠٠ مقاتل.
- قبيلة رجال ألمع بقيادة حسن بن عبدالمتعالي وأحمدالحياني ومعهما ٢٥٠ مقاتلاً.
- قبيلة بني شهربقيادة شاكرالعسبلي ومعه ١٤٠ مقاتلاً.
- قبيلة بني مغيد بقيادة أحمدبن مفرح ومعه ٩٠ مقاتلاً.
- قبيلة بني مالك بقيادة علي بن أحمد بن معدي ومعه ٦٢ مقاتلاً.
- قبيلة علكم بقيادة عايض بن حامد ومعه٦١ مقاتلاً.
- قبيلة ربيعة ورفيدة بقيادة عبدالوهاب المتحمي ومعه ٥٩ مقاتلاً.
- قبيلة باللسمربقيادة جرمان ومعه ٧٥ مقاتلاً.
- قبيلة باللحمر بقيادة نوآبهم ومعهم ٧٥ مقاتلاً.
- قبيلة قحطان بقيادة محمد بن د ليم ولم يُحدد العدد.

وكان الأمير تركي السديري على رأس تلك الحملة العسكرية، يرافقه عدد ٦١ رجلاً من رجاله الخاصين (الأخويا).

وكانت كل قبيلة قد أحضرت بنادقها معها، وصرفت الإمارة لكل بندقية خمس عشرة فشكة من مستودع ذخيرة الجيش بأبها، ومن الجدير بالذكر أن مالية أبها قبل تشكيل الجيش النظامي في عسير كانت تقوم بشراء الأسلحة والذخيرة وتوزعها على المقاتلين أثناء أداء التكليفات الحربية التي يأمر بها الملك عبدا لعزيز، ولكنها بعد ذلك قامت بتسليم ما لديها من أسلحة وذخيرة إلى قيادة المنطقة الجنوبية بعد تأسيسها في أواخر الثمانينات ا لهجرية من القرن الرابع عشر الهجري المنصرم.

ومن الأعمال الرائدة التي قام بها الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة في خدمة هذه الدولة الراشدة بناء قصر الحكومة ا لذي سمي قصر شدا الواقع وسط مدينة أبها في

عام ١٣٤٨هـ من ماله الخاص وأهداه إلى الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - ثم أمر الملك عبدالعزيز بأن يكون مقراً لإمارة مقاطعة عسير عام ١٣٥٦هـ، ويُعد ذلك القصر تحفة معمارية فريدة، وكان يسمى بالقصر الأبيض نسبة إلى لونه الخارجي المطلي بمادة القضاض، وسمي كذلك بقصر مشرف كما سمِّي بقصر أبوملحة نسبة إلى الشيخ عبدالوهاب الذي بناه، إلا أنه غلبت تسميته بقصر شدا نسبة إلى قصر آخر كان يقابله من الناحية الجنوبية، ثم أصبحت هذه التسمية هي التسمية الرسمية للقصر، وبخاصة بعد أن أمر صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير بترميم القصر وتحويله إلى مُتحف للتراث الشعبي الذي تتميز به منطقة عسير، ليعطينا صورة متكاملة عن الحياة القديمة التي كان يعيشها الآباء والأجداد، وقد افتتح هذا المتحف رسمياً تحت رعاية سموه الكريم في عام ١٤٠٨هـ.

وبهذا يكون الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة قدأمضى قرابة إحدى وثلاثين سنة في إدارة مالية عسير، امتدت من تاريخ تكليفه بذلك العمل من الملك عبدالعزيزعام ١٣٤٢هـ حتى توفي -رحمه الله- عام ١٣٧٤هـ.

ثم صدر الأمر من الملك سعود بإسناد إدارة مالية أبها إلى العم الشيخ عبدالعزيز بن عبد الوهاب أبوملحة حتى توفي -رحمه الله- في شهر ربيع الآخر عام ١٣٧٦هـ، ثم صدر الأمر من الملك سعود بتكليف الوالد الشيخ سعيد بن عبدالوهاب أبوملحة برئاسة مالية أبها بتاريخ ٢٠ من جمادى الأولى عام ١٣٧٦هـ حتى أحيل إلى التقاعد في عام ١٤٠٦هـ بناءً على طلبه نظراً لسوء ظروفه الصحية، وقد توفي -رحمه الله- في مدينة جدة بتاريخ يوم الأحد ١٧ من جمادى الأولى عام ١٤١٧هـ، ثم صدر الأمر الكريم من خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - بتعيين العم الشيخ محمد بن عبد الوهاب أبوملحة مديراً لمالية أبها بتاريخ ٥/ ٣/ ١٤٠٦هـ، ولايزال على رأس عمله حتى الآن.

ويسرني في نهاية هذا البحث الموجز أن أنقل نصَّ اللقاء الذي أُجري مع الشيخ

محمد بن عبدالوهاب أبوملحه ونُشر في كتاب (رجال وذكريات) الصادر عن المهرجان الوطني للتراث والثقافة سنة ١٤١٠هـ، من ص٢٤٠ إلى ص٢٥١، وقد أجري ذلك اللقاء بتاريخ ١٥/ ٢/ ١٤١٠هـ:

«كانت الجزيرة العربية قبل عهد الملك عبدالعزيز مسرحًا للفوضى، تتنازعها القبليات بلا أمن ولا ا ستقرار، وسبقت عهد الملك عبدالعزيز أحداث معروفة، كانت الحجاز في يد الأشراف، وكانت عسير في يد الأتراك، بينما جزء من تهامة في يد الأدارسة، وكانت نجد في يد آل رشيد والأحساء بيد الأتراك، وغير ذلك من أوضاع جعلت الجزيرة العربية عبارة عن أجزاء متناحرة ليس لأهلها حول ولاقوة، بل جعلتهم التفرقة أشلاء متناثرة يخيم عليها الجهل بكل أجنحته، ولكن الله سبحانه وتعالى قد بارك في عبدالعزيزبن عبدالرحمن آل فيصل، فاستطاع - بفضل الله - أن يؤسس هذا الكيان العظيم ويوحده تحت راية واحدة هي راية الإسلام الخفاقة، فاستتب الأمن، وحلّ النور محلّ الظلام. لقد قام مع عبدالعزيز رجال صدقوا مع الله ثم مع عبدالعزيز، وأفنوا حياتهم في الفداء والتضحية، وكان والدي الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة من أوائل المناصرين لابن سعود في هذا الجزء من وطننا الحبيب، ومن الرجال الذين كانوا سندًا قويًا للملك عبدا لعزيز والعهد ا لسعودي من بدايته وحتى يومنا هذا. وُلد الشيخ عبدالوهاب بن محمد بن علي بن سلطان أبوملحة في عام ١٣٠٣هـ في مدينة الخميس، ولكن والده توفي وهو صغير في الخامسة من عمره، فعاش فترة الصِّبا في كنف أسرته، وكان يتنقّل بين من بقي من أسرته وبين أسرة عمه سعيد بن علي أبوملحة وبين أخواله المتاحمة في طبب بعسير، وتلقى قسطًا من العلم على يد معلمي الكتاتيب آنذاك، وعرف القراءة والكتابة، وامتهن والدي الزراعة والتجارة، وأصاب فيهما من الخير الشيء الكثير، وصار له مركز مرموق في أسرته وقبيلته. إبَّان تأسيس هذه المملكة الكبيرة أسهم والدي الشيخ عبدالوهاب في كثير من المعارك الحربية، وأسهم في قيادة الكثير منها، وكان من الشخصيات البارزة التي قامت بنشاط وافر من التضحية والجد والاجتهاد

والوطنية، واتصف بالأمانة والاستقامة، وعندما توحدت المملكة وبدأ حكم عبدالعزيز أكرم الملك الشيخ عبدالوهاب ووضعه في المكان المناسب، فكان عينًا له في الجنوب يطلعه على جميع الأمور جليلها ودقيقها، ويتبادل معه الآراء لما فيه صلاح الدعوة وخير هذه البلاد. ونجد في الوثائق التي بين أيدينا كثيرًا من المخاطبات الخاصة والعامة بين الملك عبدالعزيز وبين والدي، وكلها تبين العلاقة بينهما، وتبين ما للوالد من مكانة في نفس عبدالعزيز، وتدل دلالةً واضحةً على اقتناعه الكلي به، ولم تخلُ الخطابات التي وردت من الملك عبدالعزيز من إشادة طيبة أو نكتة هادفة حسبما يتطلب الموقف. في عام١٣٤٢هـ عيَّن الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالوهاب رئيسًا لمالية أبها وملحقاتها، فأثبت أنه أهل للمسؤولية، وفي عام ١٣٥٩هـ صدر الأمر بأن تُضم جميع ماليات الجنوب إلى مالية أبها، وشمل ذلك جيزان وبيشة، علاوةً على نجران وظهران الجنوب، ورجال ألمع ومحائل والنماص وبارق والحرجة، وصارت هذه الماليات وكل ما يتعلق بها من ميزانيات في المنطقة تابعة لمالية أبها، وبالإضافة لذلك قام الشيخ عبدالوهاب بمهام أخرى، ومنها أنه مثّل المملكة في مفاوضات الحدود مع اليمن أثناء حكم الإمام يحيى، وكان الشيخ رئيساً لهيئة تعيين الحدود بين المملكة واليمن ورأس الوفد السعودي آنذاك، بينما رأس الوفد اليمني محمد بن حسن الوادعي، وكان ذلك في شهر شوال من عام ١٣٥٤هـ، وشارك الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة أكثر من مرة في إخماد بعض الفتن الداخلية، وكان يميل إلى حسم الأمور بالودّ والتعقّل انطلاقًا من توجيهات الإمام الموحد الملك عبدالعزيز -طيّب الله ثراه-.

في عام ١٣٧٢هـ عزم والدي على السفر إلى الرياض، ووافق على أن يصطحبني معه بعد إلحاح منّي ومحاولات كثيرة، ووساطة أخي عبدالعزيز رحمة الله عليه، وكنت صغيرًا في ذلك الوقت، فلما توجهنا من أبها إلى الرياض ووصلنا وادي ابن هشبل، حاول أن يثنيني عن السفر، وفي وادي ابن هشبل تغدينا عند المرحوم عبدالله بن هشبل، وودعنا هناك خلق كثير من الأهالي والمشائخ وعلى

رأسهم سعيد بن مشيط رحمة الله عليه، ثم وصلنا وادي الدواسر، وهناك التقينا أمير الدواسر آنذاك حمد المدبل رحمة الله عليه، وأكرمنا وأحسن استقبالنا، وتوجهنا بعد ذلك إلى الأفلاج، وكان في ا ستقبالنا فهد بن زعير الذي أقام للوالد حفلاً كبيرًا، وواصلنا طريقنا إلى الخرج ، وهناك استقبلنا أمير الخرج ومعه من أبناء المنطقة محمد بن عبدالله بن عامر آل عريف، وقد اجتمع عنده أبناء منطقة عسير، وقاموا بالواجب خير قيام، ومكثنا في الخرج يومين كاملين، ثم تابعنا طريقنا. لما وصلنا إلى مشارف الرياض، أرسل والدي المرحوم علي بن شايع إلى الملك عبدالعزيز ليخبره بوصولنا، فذهب وعاد ليخبرنا بأن الملك قد أمر للوالد بمسكن في أم قبيس، وأمر بمنزل للأخوياء في الحلّة، وأمر لنا بسيارتين خاصتين.

في الصباح الباكر توجهنا للسلام على الملك في البديعة، وفي تلك المناسبة عرفت الملك عبدالعزيز، وكان أيامها في البديعة، وكان في عربة ينتقل فيها من مكان لآخر، ومكثنا في الرياض شعبان ورمضان والنصف من شوال عام ١٣٧٢هـ، ولما قضّى الوالد أشغاله ذهب إلى الملك مودعًا، فعرض عليه أن يقيم في الرياض، وقال له :

ياعبد الوهاب نبغاك أن تستقر عندنا في الرياض وتجلس معنا سنتين، فقال الوالد : إن هذا شيء يسرني، ولكنني لم آت إلا لمشاهدتكم، فقال له الملك : بارك الله فيك، وإذا كنت قد أنهيت أ شغالك فلا عليك ومع السلامة .

وفي أثناء إقامتنا لاحظت التقدير الكبير الذي يبديه الملك عبدالعزيز لرجاله المخلصين، فلم يكن هناك كلفة بينه وبينهم، وكان والدي يدخل عليه وكأنه واحد من أسرته، وفي إحدى المناسبات ذهبنا مع الملك عبدالعزيز إلى "أبو مخروق"، وشاهدنا سباق الخيل هناك .

وأذكر كذلك أن الوالد كان يشكو من ألم في يده اليمنى فنصحه الملك عبدالعزيز بالسفر إلى المنطقة الشرقية لعله يجد في العيون الحارة هناك ما ينفعه في

شفاء يده، وأوصى به هناك سمو الأمير سعود بن جلوي الذي استقبله أحسن استقبال، وأكرمه أيما إكرام، وأقام له وليمة كبيرة أثنى خلالها على الوالد وأهداه أرضًا وخادمًا لخدمته إياها. وقد رافق الوالد في سفره هذا عبدالله بن علي بن مسفر السكرتير الخاص له مع خيرة من الرجال المخلصين: منهم: علي بن شايع، وسرور بن علي آل عبدالوهاب، أما أنا فلم أرافقه وبقيت في انتظاره في الرياض مع ناصربن عوض الكودري أحد الرجال المخلصين وباقي الأخويا، ومنهم محمد بن عبدالله الغامدي-رحمة الله على الجميع-، وفي أثناء إقامتنا في الرياض قمنا بزيارة إلى سموالأمير سعود بن عبدالعزيز آنذاك، وعندما دخلنا الناصرية دُهشنا منها، وشاهدنا فيها المسطحات ا لخضراء والأ نوار في كل مكان، وكان كل ذلك غريبًا جدًا علينا في تلك اللحظات؛ لأننا أتينا من منطقة لم تعرف الكهرباء بعد، وكنا ما نزال أيامها نعيش على أنوار الفوانيس والقناديل، ولاحظنا كذلك الإسفلت، وكان الطريق المزفّت يمتد من الرياض إلى البديعة والمربع فقط.

في أحد الكتب الموجهة من الملك عبدا لعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب أبوملحة، يقول له الملك: أنت من الروح، وأفعالك كلها جميلة، وما أنت من الناس الذين يُستدعون ليقال لهم افعل كذا وافعل كذا.

وكذلك يقول الملك: نحن لانريد شرًا بأحد، ولانريد إلا السّلم والثبات وترسيخ العقيدة».

ويختم الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي روى هذه الذكريات عن والده وعلاقته بالملك عبدالعزيز بقوله:

«إن الملك كان يؤكد توجيهاته قولاً وعملاً حتى أراح أبناءه مواطني المملكة العربية ا لسعودية من الجهل والفوضى، وحتى جعل كلمة الله هي العليا، ثم سار على نهجه كل من جاء بعده، وستبقى بلادنا-إن شاء الله-أرضًا آمنةً يقودها رجال مخلصون. ونحن أيضًا سنقدم الغالي والرخيص في سبيل الحياة الكريمة والأمن والأمان، ولن ينقطع إخلاصنا وتضحياتنا حتى يرث الله الأرض ومن عليها».

الحواشي

(١) سمو الأمير عبدالعزيزبن مساعد

وهو الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن سعود، كان واحدًا من فرسان آل سعود المغاوير، ويجتمع مع المغفور له إن شاء الله الملك عبدالعزيز في الجد الثالث لهذه الأسرة الكريمة الإمام تركي بن عبدالله آل سعود، وقد وُلد سموالأميرعبدالعزيز بن مساعد عام ١٣٠٢هـ ثم نشأ على معاني الرجولة والفروسية، وقد رافق الملك عبدالعزيز في فتح الرياض عام ١٣١٩هـ وقاد الجيش الفاتح لعسير عام ١٣٣٨هـ، وكان أول عمل إداري أسند إليه إمارة منطقة القصيم في عام ١٣٣٩هـ ثم أميرًا على منطقة حايل في عام ١٣٤١هـ، وفي عام ١٣٥١هـ عُيِّن قائدًا عامًا للقوات السعودية التي قضت على فتنة الإدريسي في تهامة ثم عاد ليمارس عمله في إمارة حايل حتى عام ١٣٩١هـ ثم انتقل إلى مدينة الرياض ليستقربها في أواخرحياته؛ وقد توفي بالرياض -رحمه الله- عام ١٣٩٧هـ بعد عمر حافل بالجهاد والبطولة والتضحية في خدمة الوطن.

(٢) عبدالعزيز بن إبراهيم

هوعبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالرحمن من قبيلة الفضول في نجد، كان واحدًا من الرجال المخلصين للملك عبدالعزيز -رحمه الله-، وقد عيّنه أميرًا على عسير، فمكث بها قرابة ستة أشهر من شوال عام ١٣٤١هـ إلى ٢٢ من جمادى الأولى عام ١٣٤٢هـ أعاد فيها السكينة والطمأنينة إلى أهل عسير، نظرًا لما عُرف به من الحزم وشدة البطش على المجرمين، وكان قبل ذلك أميرًا على حائل، ثم في أبها، ثم في الطائف، ثم في المدينة المنورة، ثم عضوًا في مجلس الوكلاء بمكة المكرمة، وظل في منصبه ذلك حتى مرض مرضًا شديدًا ألزمه الفراش ثم سافرإلى مصرللعلاج، حيث توفي ودُفن بها عام ١٣٦٥هـ.

(٣) عبدالله بن عسكر

هو عبدالله بن إبراهيم العسكر، ينتمي لإحدى الأسر الكريمة في المجمعة، وقد عينه الملك عبدالعزيز أميرًا على المجمعة، كان من رجالات الملك عبدالعزيز المخلصين، رجلاً دربته تجارب الزمن، ثم عُيّن بعد ذلك أميرًا على عسير لمدة تسع سنوات، أي من سنة ١٣٤٣هـ حتى توفي سنة ١٣٥٢هـ.

(٤) عبدالعزيز العسكر

وهو عبدالعزيز بن عبدالله بن عسكر الذي كُلّف بالقيام بإمارة مقاطعة عسير بالوكالة بعد وفاة أبيه، وقد استمر أميرًا في أبها لمدة سنة واحدة، ثم أعفي من منصبه، كما أنه أصهر إلى الشيخ عبدالوهاب أبوملحة، حيث زوّجه بإحدى بناته.

(٥) تركي بن أحمد السديري

وهو عميد أسرة آل السديري، وابن خال الملك عبدالعزيز، وخال ستة من أبنائه البررة، وهم:
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يحفظه الله، وأصحاب السمو الملكي الأمراء: سلطان، وعبدالرحمن، ونايف، وسلمان، وتركي، وأحمد-أيدهم الله بنصره وتوفيقه-وقد تولى الأمير تركي السديري إمارة عسير لمدة تسعة عشر عامًا، امتدت من سنة ١٣٥٣هـ إلى سنة ١٣٧١هـ، وقدا تسمت شخصيته-رحمه الله-بالهيبة والحزم وسعة الأفق وحسن الخلق، ثم عُيّن بعد ذلك أميرًا على مقاطعة جازان من عام ١٣٧٦هـ حتى توفي إلى -رحمة الله- في عام ١٣٩٧هـ.

(٦) تركي الماضي

هو تركي بن محمد الماضي المولود في روضة سدير عام ١٣٢٢هـ، نشأ بها ثم

نال حظاً طيبًا من العلم على أيدي علمائها، ولكنه بعد ذلك ثقّف نفسه بنفسه حتى نبغ في علمي التاريخ والأدب، فكان يجمع بين العلم والسياسة والقلم، ولذلك نال ثقة الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، فأرسله مندوبًا عنه إلى اليمن لمفاوضة الإمام يحيى مع مجموعة من أعيان عسير منهم الشيخ عبدالوهاب أبوملحة، وقد عينه الملك عبدالعزيز أميرًا على غامد وزهران عام ١٣٥٣ ثم أميرًا على نجران عام ١٣٥٧هـ ثم أميرًا على عسير من عام ١٣٧١هـ حتى توفي عام ١٣٨٥هـ.

(٧) عبدالعزيز بن عبدالوهاب المتحمي

هو عبدالعزيز بن عبد الوهاب المتحمي سليل الأسرة المجيدة أسرة المتاحمة الذين ناصروا الدولة السعودية الراشدة منذ عهدها الأول، ومازالت على ولائها إلى هذا العهد الزاهر، وكان الشيخ عبدالعزيز المتحمي رئيسًا لقبيلة ربيعة ورفيدة إحدى قبائل عسير حتى توفي عام ١٣٥٧هـ، وكان يتسم بالحكمة وسداد الرأي، وهوابن خال الشيخ عبدالوهاب أبوملحة.

(٨) فهد العقيلي

هو فهد بن عبدالكريم العقيلي، من أهل المذنب وينتسب إلى قبيلة النواصر من تميم، وقد تسلّم أعمال إمارة عسير في جمادى الأولى عام ١٣٤٠هـ، ولكن لم يمض عليه بضعة شهور في عمله حتى ثار عليه حسن بن عايض وأشياعه، وحاصروه في قصره، ومنعوا عنه وعن حاميته الماء لمدة عشرة أيام حتى اضطر لمغادرة القصر، ثم توجه إلى الخميس، حيث استقبله الشيخ سعيد بن مشيط، والشيخ عبدالوهاب أبوملحة الذي استضافه في قصره، ولكن المتمردين طاردوه وقتلوه وأحرقوا قصر الشيخ عبدالوهاب، فكان ما كان بعد ذلك من مجيء النجدة من الرياض بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز الذي قضى على تمرد المتمردين، وأعاد الأمور إلى نصابها الصحيح .

(٩) سعيد بن مشيط

هو سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط، وكان شيخ قبائل شهران بعد وفاة أبيه عبدالعزيز، وأما جده مشيط فكان من المناصرين للدولة السعودية الأولى، وقد رحل إلى الدرعية وتعلم على علمائها، ثم عاد إلى قبيلته وطبق شرع الله فيهم، وأمر بتعلم القرآن الكريم، وبعد وفاته خلفه ابنه علي، ثم حسين بن علي الذي خشيه الأتراك لشجاعته ودهائه، فأرسلوه منفيًا إلى إستانبول، حيث توفي هناك، ثم تقلد ابنه عبدالعزيز مشيخة القبيلة حتى توفي، فخلفه ابنه سعيد بن عبدالعزيز الذي اتسم بالدهاء وبعد النظر مما أهّله لأن يشارك مع الوفد الذي قام بالتفاوض مع إمام اليمن يحيى حميدالدين، كما استشهد اثنين من أولاده في الحروب التي وقعت في تهامة ضد الإدريسي، هذا وقد عُمِّر الشيخ سعيد حتى قارب المئة من العمر؛ توفي عام ١٣٩١هـ تقريبًا.

(١٠) سعد بن عفيصان

تولى إمارة عسير في عام ١٣٤١هـ لمدة تسعة أشهر في وقت كان محفوفًا بظروف عصيبة، وذلك عندما استعان آل عايض بالشريف حسين، فأرسل إليهم مددًا استطاعوا به محاصرة قصر شدا وقذفه بالمدافع، ثم ما لبث الجيش الحجازي أن تراجع وولى هاربًا بعد أن تواردت إليه الأنباء باقتراب وصول قوة سعودية بقيادة ابن جامع وابن جيفان. هذا؛ وقد توفي ابن عفيصان وهو أمير على أبها عام ١٣٤٢هـ.

(١١) محمد بن جيفان

من رجال الملك عبدالعزيز المخلصين، جاء على رأس قوة سعودية من الرياض عام ١٣٤١هـ إلى أبها ليطرد جيش الشريف حسين الذي استعان به آل عايض ضد الحامية السعودية في عسير، وقد قام ابن جيفان بأعمال إمارة

عسير بالوكالة بعد وفاة أميرها سعد بن عفيصان لأشهر معدودة بترشيح من الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة وأعيان عسير، حتى جاء الأمير عبدالعزيزبن إبراهيم أميرًا على عسير بتكليف من الملك عبدالعزيز-طيب الله ثراه-.

(١٢) خالد بن لؤي

هو خالدبن منصوربن لؤي، من أشراف تربة، كان أميرًا على الخرمة من قبل الشريف حسين، ولكنه ثار على ابن عمه الشريف حسين لسوء حكمه، وأعلن الولاء والطاعة للملك عبدالعزيز، وأصبح أحد جنوده الأوفياء، حتى إنه قاد ثلاثة آلاف مقاتل وسار بهم للمشاركة في معركة تربة ضد الشريف عبدالله بن الحسين التي هُزم فيها الشريف عبدالله عام ١٣٣٧هـ ثم إن الملك عبدالعزيز أرسل الشريف خالدًا مددًا للقوة السعودية التي ذهبت إلى تهامة لإخماد حركة الإدريسي، وذلك في عام ١٣٥١هـ، وقد مرض خالد بن لؤي أثناء مسيره بالجيش ومات في وادي بيض، فتولى ابنه سعد قيادة الجيش بعده.

(١٣) حسين بن صمّان

هو حسين بن صمان آل سالم، من أعيان عسير وأحد الرجال الأوفياء للملك عبدالعزيز، كان شيخ قبيلتيْ ذعي وبني قيس القحطانيتين، اشترك في حرب الرغامة عام ١٣٤٣هـ، وكذا في الحرب ضد الإدريسي عام ١٣٥١هـ، ثم في حروب القهر الثلاث، وتوفي في عام ١٤٠١هـ تقريبًا، وكان جده الأعلى غشّام بن عامر من المناصرين للدولة السعودية الأولى.

(١٤) الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل

أحد علماء المملكة العربية السعودية وقضاتها البارزين، ولد بالبكيرية في القصيم، ثم نشأ وتعلم بها العلم الشرعي، وحفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، ثم انتقل إلى الرياض وواصل تعليمه على يد الشيخ محمد

ابن إبراهيم آل الشيخ، وقد عينه الملك عبدالعزيز قاضيًا في الحلوة عام ١٣٥٣هـ، ثم قاضيًا في أبها عام ١٣٦٠هـ، وكان طوال عمله في القضاء يقوم بالخطابة والتدريس في مسجده وبيته، وتخرج على يديه كثير من القضاة والدعاة إلى الله الذين نفع الله بهم، وفي عام ١٣٧١هـ طلب الإحالة إلى التقاعد لسوء حالته الصحية، ولكنه استمر في التدريس حتى عام ١٣٩٢هـ، ثم اعتزل في بيته لاشتداد المرض عليه، وما زال حتى كتابة هذه السطور حبيس منزله في مدينة أبها بعد أن طعن في الشيخوخة، لكنه من البقية الباقية من العلماء الربانيين علمًا وورعًا وزهدًا، ونسأل الله تعالى أن يجزل له الثواب في الجنة على ما قدم لدينه ووطنه وطلابه .

***

مراجع البـــــحث

١- **عسير في عهد الملك عبدالعزيز**، د. محمد بن عبدالله آل زلفه ط ١، ١٤١٥هـ.

٢- **شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز**، خيرالدين الزركلي، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٧ م.

٣- **من مذكرات تركي بن محمد الماضي**، ط ١، ١٤١٧هـ.

٤- **تاريخ عسير**، هاشم بن سعيد النعمي، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر.

٥- **شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير**، هاشم بن سعيد النعمي، ط ١، دار العلم بجدة، من إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤١٥هـ.

٦- **رجال وذكريات مع . . .**، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة

٧- أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة، د. عبدالله بن محمد أبوداهش، ط١، مطابع مازن، أبها، ١٤١٧هـ.

٨- **علم من عسير**، د. صالح بن عون بن هاشم، د. عبدالله بن محمدالحميد بالاشتراك، من إصدارات نادي أبها الأدبي، ط ١، دار البلاد للطباعة والنشر، جدة، ١٤١٩هـ.

٩- **إقليم عسير في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود**، رسالة ماجستير مخطوطة، د. إسماعيل بن محمد البشري .

***